

## الفصل الأول

### « الاسطورة النكوبية »

« وجبل الرب الإله آدم تراباً من الارض ونفخ في انفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » ( تكوين ص ٢ . عدد ٧ ) .

« فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم ، فنام ، فأخذ واحدة من اضلاعه وملاً مكانها لحماً . وبني الرب الإله الضلع التي اخذها من آدم امرأة واحضرها الى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تدعى امرأة لانها من امرىء أخذت » ( تكوين ص ٢ ع ٢١ و ٢٢ و ٢٣ ) .

ثم تكلمة القصة ، إذ ذافت المرأة من ثمرة الشجرة المحرمة ، فاستطابتها واعطت رجلها ، بما سبب غضب الرب ، وانزل بهما القصاص . فقال للمرأة : « تكثيراً أكثر اتعاب

حبلك ، بالوجع تلدين اولاداً والى رجلك يكون اشتياقك  
وهو يسود عليك . »

لا اعلم كم من الناس في هذا العصر لا يزالون يعتقدون  
بصحة هذه الاسطورة المنمقة التي جعلت من الرجل نفخة في  
رماد ومن المرأة ضلعاً من اضلاع الرجل . ثم شاء واضعها ،  
فألف حكاية الشجرة والثمره وخداع المرأة لرجلها مما جعل  
منه سيداً عليها . وقد غاب عن مؤلف هذه الأسطورة ان  
الخداع يستلزم المكر والدهاء وقوة المنطق في الخداع ،  
والبساطة وضعف القوة الادراكية في الخدوع . فكيف  
يجوز لضعيف الادراك ان يسود من يفوقه دهاءً وادراكاً؟

لقد غرست هذه الاسطورة - وهي هندية الاصل -  
اعتقاداً ان المرأة قطعة صغيرة من جسم الرجل . وانها  
كمية مهملة . والضلع ، كما يعلم الأطباء ، ليست من الاعضاء  
الحوية في جسم الانسان . الضلع تكسر ، وتقطع ، وتسلخ  
من الجسم دون ان تنزل به ضرراً ملموساً . هذا هو شأن  
المرأة من الرجل ، وهكذا اراد واضعو الاسطورة - ولا  
شك انهم من الرجال - ان تكون . وقد وضعوها في  
صلب الاديان وجعلوا منها اسماً تبدأ به المعتقدات . ولا  
ادري كيف ولماذا اقتبستها وتبنتها جميع الديانات الالهية

بدون تمحيص على كثرة ما بين هذه من اختلافات .

وها نحن اليوم في عصر العلم والبحث والمعرفة نعلم ان التكوين على الصورة التي شرحها سفر التكوين ، اسطورة وخرافة . ولما يزل ، بالرغم من ذلك ، من يريد ان يتخذها اساساً للاديان والألف في ايجدية العلوم اللاهوتية .

لا يا سيدتي ، انت لست ضلعاً من اضلاع الرجل .  
فلماذا يريدون ان يحكموا عليك بالاساطير والخرافات ؟

لن ابحت موضوع النشوء والارتقاء ، ولن احلل النظريات العلمية في اصل الحياة . فهذا الكتاب لم يوضع لهذا الغرض . ونظرية النشوء والتحول لا تحتاج الى من يدافع عنها . غير اني اريد ان تفهم المرأة انها وجدت بالطريقة نفسها التي وجد بها الرجل . نشأت مثله ، وارتقت مثله . يجب ان تعلم انها والرجل صنوان طبيعياً . ومتى وثقت هي من هذه الحقيقة العلمية ادركت عندئذ اي ضرر نزل بها من اسطورة آدم وحواء التكوينية .

لولا الرجل لما كانت المرأة . أليست هي جزءاً منه ؟  
إذا هي له ، ملكه . هكذا يستنتج من الاسطورة الخالدة .  
ولو كنت امرأة لاسميتها الاسطورة الجانية .

وهل تكون هذه الاسطورة سبباً من اسباب وضع  
المرأة في مرتبة ادنى من مرتبة الرجل ؟ اذا لم تكن هي  
كل السبب فهي معظمه . فالديانات التي اعتنقتها استوحى  
شرائعها منها . والكتب المقدسة ملاءمى بالشواهد المثبتة .

في اول سفر من التوراة يحكم عليها الله - بزعم مؤلف  
التوراة - بالعبودية للرجل . ويشرع موسى برجسها من يوم  
تولد : « اذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة  
ايام . وان ولدت انثى تكون نجسة اسبوعين » ( لاويين  
ص ١٢ ) .

وهذا بولس الرسول فيلسوف الكنيسة المسيحية يقول :  
« ايها النساء . اخضعن لرجالكن كما للرب لان الرجل هو رأس  
المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة . واما الرجال فيجب  
ان يحبوا نساءهم » ( افسس ص ٥ ) ثم يقول في رسالته الى  
كورنثيوس : « رأس المرأة هو الرجل . ورأس الرجل هو  
المسيح . ورأس المسيح هو الله . الرجل هو صورة المسيح  
ومجده ، واما المرأة فهي مجد الرجل ، لان الرجل ليس من  
المرأة بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل  
المرأة ، بل المرأة من اجل الرجل . »

ولا يشذ نبي الاسلام عن هذه التوصية الدينية عندما

يُشرع للذكر مثل حظ الانثيين وعندما يقول : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم . فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . واللاتي يخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، ان الله كان علياً كبيراً ، الآية .

لنرجع الى علم التشريع ، فهل نجد فيه نقصاً عضوياً او مخلقياً في المرأة يبرر استعباد الرجل لها ؟

يقول علماء التشريع ان دماغ الرجل اثقل من دماغ المرأة ببضعة غرامات . وكذلك يقولون ان وزن الدماغ ليس مقياساً لدرجة الفهم والادراك . فدماغ زيد اذا زاد وزنه عن دماغ عمرو لا يعني ان زيدا يفوق عمراً ذكاءً . ان وزن الدماغ يتبع وزن الجسم بكميته . وبما ان الرجل على العموم اثقل وزناً من المرأة فدماغه اكبر من دماغها حجماً . اما القوة الادراكية فالدليل عليها كمية المادة السنجابية في الدماغ وعمق الشقوق والأخاديد . وهذه لا يقول علماء التشريع انها تختلف عما هي في الرجل .

ثم يجب ان لا يغرب عن بال القارىء انه اذا وجد تفوق في ادمغة بعض الرجال على النساء ، فان هناك

شواهد اثباتية على تفوقِ في ادمغة بعض النساء على الرجال . وذلك يرجع لتأثير العوامل العلية والثقافية والتربوية التي يجيزونها للرجل ويجرمون منها المرأة . فالخمول ، والاهمال ، وعدم الاهتمام بتعليم الفتاة امورٌ تعمل على توقف نمو القوى الادراكية فيها .

ان المرأة التي تركت اجيالاً عديدة مهمله ليس من الغريب ان تراها مقصرة عن الرجل . غير ان تقصيرها وتفوقه ليس من اعمال الطبيعة المبدعة ، انما هو نتيجة الاهمال والحرمان الذي جناه الانسان وشرائعه وانظمتها التي وضعها قوم في ساعات شرم ، فالتفوا هذه الاسطورة الخالدة ، اسطورة آدم وحواء .

وهاك حقيقة واقعة لا ينكرها المكابرون : ان المستوى العقلي في معدل الفتيات قبل العاشرة من سنهن هو اعلى منه في معدل الفتيان في هذه السن . فالذي تدركه هذه الفتاة لا يدركه الفتى . ولنمشر مع المكابرين لنقول انها متساويان . غير اننا لا نلبث بعدئذ ان نرى تفوقاً في الفتى . وما ذلك إلا لان الطبيعة لم تعد وحدها القيس على الاثنين ، اذ ان الانسان يدخل متحيزاً للذكر دون الانثى ، يلقي بين يدي الاول جميع الوسائل التثقيفية بينما يحرم الثانية الا من

جزء ضئيل منها ، فبفسير الفتى متقدماً وتتعثّر الفتاة بأذبال  
الاهمال والظلم الانساني . فكثرة الاعمال العقلية التي يتولاها  
الرجل تزيد في نضوج عقله بينما حرمان المرأة منها يضعف  
قواها الفكرية . الاول يربو ويزيد ، والثانية تحمل وتضعف .

ولقد تنبّهت الاوساط الراقية الغربية الى هذا النقص في  
التعليم ، ففتحت للمرأة مجال العمل في الحقل الادبي والفكري  
والعملي ، وتبين لها ان المرأة اذا اعطيت الفرص والامتيازات  
نفسها التي تعطى للرجل اتت باعمال تساوي ، وفي بعض  
الاحيان تفوق اعمال الرجل . ففي البلدان الراقية  
الاوروبية والاميركية ككثيرات هن النساء اللواتي يدخلن  
المجتمع الادبي والسياسي . والنساء اللواتي يفشلن في اعمالهن  
اقل من الرجال الفلسطينيين . فالمرأة اصفى ذهنأ ، واقوى  
ذاكرة ، واكثر صبرأ وتجدأ على العمل والتعب من  
الرجل . واذا راجعنا سجلات المدارس رأينا الفائزات اكثر  
عدداً من الفائزين .

لتعط المرأة الفرصة المواتية عندئذ تراها مساوية للرجل . ان  
لم تكن اسبق منه في المؤهلات اللازمة في اكثر نواحي  
الحياة .

اما في الشرق فقد سجنوها ، وقيدوها ، وضيقوا عليها ،

وحرموها وسائل التقدم ، فنشأت ضعيفة ذليلة ، وكانت  
ذلك العامل الأكبر في تأخر التمدن الشرقي ومجتمعه . فهل  
يدرك الشرق ان طموحه لن يثمر اذا لم تتحرر المرأة من  
هذه القيود فيفتح لها باب العلم والعمل والانطلاق ؟

